﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٥ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾ [الزّمر: 25 - 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

الانتقالُ من ذِكْرِ عذابِ الآخرةِ إلى ذِكرِ عذاب الدُّنيا

لمّا بيَّنتِ الآياتُ السّابقة كيفيَّةَ عذابِ قُساةِ القلوب في الآخرة، وأنَّ ما نالوه مِنَ العذابِ الشَّديد والأليم ما كان إلّا بما اكتسبته أيديهم في الدُّنيا؛ ناسبَ بعد ذلك بيانُ وقوعِ العذاب في الدُّنيا لِمَن ظلم من أولئك، ومِن المناسبة: أنَّه لمّا بيَّن ما أعدَّ اللّهُ تعالى للقاسية قلوبهم في الآخرة مِنَ العذاب؛ أتبعَهُ ببيان عملهم الَّذي استحقّوا به ذلك، وهو التَّكذيبُ والإنكار[1]، ثمَّ بعد أن ذَكر أنَّه أتاهمُ العذابُ في الدُّنيا - وهو ما يقع به الألمُ - بيَّن أنَّه أتاهمُ الخزيُ والذُّلُّ في الحياة الدُّنيا؛ ليجمعَ لهم بين الألم والهوان والذُّلِّ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كَذَّبَ﴾: (كذب) أصلٌ يدُلُّ على خِلافِ الصِّدْقِ، وتلخيصُه: أنَّه لا يَبْلُغُ نهايةَ الكلامِ في الصِّدْقِ[3]، والتَّكذيبُ: النِّسبةُ إلى الكذب، أو الوصفُ بالكذبِ سواءٌ كان مِن اعتقادٍ أم لم يَكُنْهُ[4]، والكذّاب الَّذي لا يَصْدُق أثَرُهُ، يَكْذِبك من حيثُ جاء[5]، ويُطلَق الكذبُ صِفَةً للخَبَر الَّذي هو بخلاف الواقِع، فيُقال: كلامُك كذبٌ، أيْ: خلافُ الواقع، وضِدُّه: الحقيقةُ، ويُستعمل بمعنى الزَّيْفِ والخِداعِ، تَقول:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 493.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 449.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كذب).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 171.
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (كذب).

جوهرٌ كاذبٌ، أيْ: زائفٌ، ومِن مَعانيه أيضًا: الجُحودُ، والافتراءُ[1]، والمُرادُ به في الآية: ضِدُّ الصِّدق، وهو الخَبَر المُخالف للواقع.

2) ﴿يَشْعُرُونَ﴾: (شعر) أصلٌ يدُلُّ على عِلْمٍ وعَلَمٍ، فالإشعارُ: الإعلامُ، والشِّعار: العَلامة[2]، والأصلُ قَولُهُم: شَعُرتُ، أي: أصبتُ الشَّعْرَ، ومنه استُعير: شَعَرْتُ كذا، أي: عَلِمتُ عِلمًا في الدِّقَّة كإصابة الشَّعر، والمَشاعِرُ: الحواسُّ، ومنه قوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات: 2]، أي: لا تدركونه بالحواسِّ[3]، والشُّعورُ يُطلَقُ على العِلْم بالأشياءِ الخَفيَّةِ، ومنهُ سُمِّيَ الشّاعِرُ شاعرًا؛ لِعِلْمِهِ بالمعاني الَّتي لا يَهتدي إليها كُلُّ أحَدٍ[4]، وأمّا المقصود بالشُّعور في الآية؛ فهو نفيُ العِلْم بِحُصولِ الشَّيءِ الحاصِلِ.

3) ﴿ٱلْخِزْىَ﴾: (خزي) أصلٌ يدلُّ على ذُلٍّ يُستَحى مِنهُ؛ ولذلكَ يُستَعمل في كلٍّ منهما، أي: الذُّلُّ والاستِحياء[5]، وقيل أصلُه: الإبعاد، فقولُهُم: أخزاهُ اللّهُ، أي: أبعَدَهُ، ومَقَتَهُ[6]، والخِزْيُ: الفضيحة، وقد خَزِيَ يَخزَى خِزْيًا؛ إذا افتَضَح، وتَحيَّر فَضيحَةً[7]، والخِزْيُ أيضًا: السّوء والعذاب[8] والهَوانُ[9]، والمرادُ في الآية: عذابُ الذُّلِّ والصَّغار، وذلك باعتبار أنَّ الخِزْيَ وصْفٌ للعذاب، وهو مُخزٍ للَّذي يُعذَّب به، أي: العذاب الَّذي يُذِلُّهم، ويُخزيهم في الحياة الدُّنيا[10].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذكَرتِ الآيةُ الكريمة عذابَ مُكذِّبي الرُّسلِ من قَبْل قريشٍ من الأُمم السّابقة عليهم، فأتاهمُ العذابُ المُقدَّر لكلِّ أُمَّة منهم من الجهة الَّتي لا يحتسبون، ولا يدور بخَلَدهم إتيانُ الشَّرِّ منها؛ لأنَّ ذلك أقسى على النَّفس وأشدُّ إيلامًا لها، فعَجَّل سبحانه لهم عَذابَ الذُّلِّ

(1) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح: 1/ 209، والجرجانيّ، التّعريفات، ص: 183.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (شعر).
(3) الرّاغب، المفردات: (شعر).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 278.
(5) الزَّبيديّ، تاج العروس: (خزي).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خزي).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (خزي).
(8) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (خزي).
(9) الزّبيديّ، تاج العروس: (خزي).
(10) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 12/ 217.

والهَوانِ في الحياةِ الدُّنيا، ولَعذابُ الآخِرةِ أكبَرُ مِن عَذابِ الدُّنيا، فلو كانوا يَعلَمونَ ذلك؛ لاعتَبَروا، واتَّعَظوا، فآمَنوا، ولم يُعَرِّضوا أنفُسَهم لِعَذابِ اللهِ تعالى[1].

العذابُ التّامُّ هو أن يَحصُلَ فيه الألمُ مَقرونًا بالهَوانِ والذُّلِّ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستئناف البيانيّ:

جاء قوله جلَّ شأنه: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ مفصولًا عمّا قبله؛ لأنَّه مستأنفٌ استئنافًا بيانيًّا، فسيقَ للجواب على سؤال من يقول: فهل يُعذَّب الظّالمون في الدُّنيا؟ فأخبر أنَّه قد نزل العذابُ بالمكذِّبين قبلَهم[2]؛ إيماءً إلى أنَّه قد يَنزلُ بالمكذِّبين بالقرآنِ.

يجمع الاستئنافُ البيانيُّ بين الإخبارِ والإيماء

نُكتَةُ التَّعبير بصيغة الماضي:

جاءَ التَّعبير عن التَّكذيب بالفعل الماضي في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ لإظهار تحقُّق كَذِبهم وحتميَّته، والتَّعبيرُ بصيغة التَّفعيل؛ للدَّلالة على شدَّة تكذيبهم وكثرته، فالسّابقون كذَّبوا قطعًا وتحقيقًا، وتكرارًا ومرارًا، حتّى أتاهم ما يستحقّونه من شديدِ عذابهم، وأتاهم وعيدُهم في الدُّنيا، ولَدار الآخرةِ أشدُّ وأبقى.

نزولُ العذابِ بمَن تحقَّق فيه التَّكذيبُ تكرارًا ومرارًا

غرضُ التَّعبيرِ بالموصولِ:

جاء التَّعبيرُ بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ لبيانِ أنَّ المُكذِّبين هم أقوامٌ اختصّوا بصفاتٍ لم تكن في سواهم، وهي الكفر والتَّكذيب والإصرار والعِناد، والكِبر عن التَّوبة والإنابة، وتحدّي الرُّسل، بطلبِ نزولِ العذابِ، فالاسمُ

مكذِّبو الرُّسل أقوامٌ معروفون معهودون

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 195، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 251، والسّعديّ، تيسير الكريم الرحمن، ص: 723.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 493.

الموصول يُشير إلى المُكَذِّبين قبلَ قريش ممَّن عُرفوا بصفاتٍ معهودةٍ في القرآن.

نوعُ ﴿مِن﴾ ودلالتُها:

استعمل النَّظمُ الكريم حرف ﴿مِن﴾ في قولِه تعالى: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ الدّالَّة على الابتداء، وذلك للإشارةِ إلى قربِ زمان المُعذَّبين من زمانهم[1].

دلالةُ ذكرِ الظَّرفِ ﴿قَبۡلِهِمۡ﴾:

التَّذكيرُ بقَصصِ السّابقين إيماءٌ وتلويحٌ ضمنيٌّ بقصد الاعتبار

آثرَ النَّظمُ الكريم ذِكرَ الظَّرف ﴿قَبۡلِهِمۡ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ تذكيرًا لهم بما وقع للأقوامِ الَّذين بلغتهم أخبارُهم، كسَبأٍ وقومِ تُبَّع وأمثالهم[2]، ودلَّ الظَّرفُ على أنَّ التَّكذيبَ كان في الأقوامِ السّابقين لهم، ففيه إيماءٌ وتلويحٌ أن يكون للمتحدَّث عنهم ما كان للأقوامِ السّابقين.

نوعُ الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَأَتَىٰهُمُ﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ للسَّببيَّة؛ لتنبيه السّامعين على أنَّ السَّببَ - وهو التَّكذيب - إذا وُجد؛ فإنَّ النَّتيجة واقعةٌ لا محالة[3].

نُكْتَةُ التَّعبير بالإتيان مادَّةً وصيغة:

مجيءُ العذابِ أمرٌ يسيرٌ محقَّق

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ الإتيان في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ مجيء العذاب إليهم كان أمرًا يسيرًا على الله تعالى[4]، فالإتيانُ دالٌّ على سهولة المجيء، والتَّعبيرُ بصيغة الماضي للدَّلالة على تحقُّق الإتيان ووقوعه.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 493.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 493.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 449.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 493.

معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾:

عذابُ السّابقين معهودٌ معلومٌ سماعًا أو إخبارًا

تعريفُ لفظِ العذاب في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ للعهد، أي: العذاب المُقدَّرُ لكلِّ أُمَّةٍ منهم[1]؛ وذلك لأنَّ من تمام إنذار الرُّسل أن يُحَذِّروا أقوامَهم مِن العذاب، فيكون المرادُ العذاب الذي وقع الإنذار به، فالعذابُ المراد هو العذابُ المعروف الذي نزل بالأقوامِ السّابقين، وعرفه اللّاحقون إمّا بما سمعوه، أو بما أُخبروه.

نوعُ ﴿مِنۡ﴾ ودلالتُها:

العذابُ يأتي من جهةِ استغلاقِ الشُّعورِ

حرفُ ﴿مِنۡ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ للابتداءِ، أي: صدر العذاب من الجهةِ التي لا يحتسبونَ، ولا يخطرُ ببالِهم إتيانُ الشَّرِّ منها[2]، ففيه تنبيهٌ على أنَّ العذابَ يأتي من حيثُ استحكامُ الغَفلةِ، واستقفالُ الشُّعورِ، واستغلاقُ الأفهام.

دلالةُ استعمالِ الظَّرف ﴿حَيۡثُ﴾:

من مأمنه يُؤتَى الحَذِر

عبَّر النَّظمُ الجليل بالظَّرف ﴿حَيۡثُ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾، وهو للظَّرفيَّة المكانيَّة، والمقصود به الجهةُ، أي: يأتيهم العذاب من الجهة الَّتي لا يخطر ببالهم أنَّ الشَّرَّ يأتيهم منها[3]، أي: إنَّه قد أتاهم من مأمنهم، وهذا أفجعُ لهم وأشدُّ وقعًا عليهم.

بلاغةُ المضارعِ المنفيِّ:

غفلةُ الكافر عن ورود العذاب دائمةٌ حتّى يحلَّ بساحتهم

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل المضارع المنفيِّ في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ للدَّلالة على تجدُّد النَّفي، أي: إنَّ انتفاء توقُّعهم لجهة ورود العذاب دائمٌ متجدِّدٌ؛ وذلك

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 252.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 252.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 449.

للتَّعبير عن شدَّة ثقتهم ومأمنهم بهذه الجهة، والمرادُ: بيان شدَّة فاجعتِهم بهذا العذاب، ووقوعِ الحسرة من حيثُ أتى المُصاب.

نوعُ الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَأَذَاقَهُمُ﴾:

عطف النَّظمُ إذاقةَ العذابِ على التَّكذيب بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ لبيان أنَّ إذاقة العذاب إنَّما هي بسبب التَّكذيب[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالماضي:

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالماضي في قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ للدَّلالة على تحقُّق إذاقتهم الخزي في الواقع، وتأكيد حدوثها.

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظِ الإذاقةِ:

بلوغُ العذابِ متحقِّقٌ بهم كبلوغ المَذاقِ للمتذوِّق

استعار النَّظمُ الجليل لفظَ الإذاقةِ لمعنى الوصول في قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ فإنَّه "يُقال لكلِّ ما نال الجارحة من شيء قد ذاقته، أي: وصل إليها كما تصل الحلاوةُ والمرارة إلى الذّائق لهما"[2]، فشبَّه وصولَ العذابِ إليهم بوصول مَذاقِ الطَّعام إلى المُتذوِّق، وهي استعارةٌ تخييليَّة؛ إذ شبَّه المعقولَ - وهو الخزي - بالمحسوس وهو المَذاق[3].

نُكْتَةُ إسنادِ الإذاقةِ إلى اسم الجلالة:

هولُ الموقفِ يُترجمه إسنادُ العذابِ إلى الله تعالى

أسندَ النَّظمُ الجليل لفظَ الإذاقةِ إلى اسم الجلالة في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ﴾؛ للدَّلالة على انتفاء مانعها عنهم، فهي صادرةٌ عن الله تعالى الَّذي لا رادَّ لأمره[4]، ولبيان هول الموقفِ أن يصدر عذابُ الخزي عن الله تعالى، وهو كنايةٌ عن شديد الغضبِ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 494.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 251.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 396.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 494.

فإنَّ ذِكْرَ اسم الجلالةِ في هذا السّياقِ يدلُّ على غضب الله تعالى على الظّالمين.

معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلْخِزْيَ﴾:

التَّعريف في لفظِ الخزي في قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ﴾ للجنس، فيشمل جميعَ أنواعِ الذُّلِّ والصَّغار والهوان[1]، ممّا يُتصوَّر وما لا يُتصوَّر.

نُكْتَةُ تقييد الإذاقة بأنَّها في الحياة الدُّنيا:

الإيماءُ إلى خِزيٍ آخرَ في الحياةِ الآخرة

قيَّد النَّظمُ الجليل فعلَ إذاقة الخزي بكونهِ وقعَ في الحياة الدُّنيا، في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وذلك للدَّلالة على أنَّ العذاب الَّذي حلَّ بهم قد صحبَهُ الذُّلُّ والهوان، وذلك للإشارة إلى أنَّ "العذاب التّامَّ هو أن يحصلَ فيه الألمُ مقرونًا بالهوان والذُّلِّ"[2]، وأنَّ إذاقةَ الخزي المذكورة هي مقيَّدة في كونها في الحياة الدُّنيا؛ للإشعارِ بوجودِ خزيٍ آخرَ في الآخرة.

فائدة العطفِ بالواو:

الاحتراسُ عن أوهامِ الأفهام

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ للعطف، وفائدةُ العطفِ الاحتراسُ، أي: إنَّ عذاب الآخرة هو الجزاءُ على كفرِهم، أمّا العذابُ في الدُّنيا؛ فقد يصيب بعضَ الظَّلمةِ زيادةَ خزي لهم[3]، فاحترس من أن يُظنَّ أنَّ عذاب الدُّنيا هو عذابُ الخزي الوحيد على الكفر.

دلالةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسميَّةِ:

عذابُ الآخرة ثابتٌ واقع، وهو الأكبر والأشدُّ ممّا سواه

عبَّر النَّظمُ الجليل بالجملة الاسميَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؛ للدَّلالة على تأكيد الخبرِ وثبوت معناه، فعذابُ الآخرة ثابتٌ له حكم الأشدِّ والأكبر عمّا سواه.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 449.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 449.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 396.

دلالةُ اللّامِ في ﴿وَلَعَذَابُ﴾:

عـذابُ الآخـرة أكـبرُ مِـن عـذاب الدُّنيا على وجه التَّحقيق

عبَّر النَّظم الجليل بحرف اللّام في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾، وهي لامُ الابتداء المفيدة للتَّأكيد؛ وذلك لتأكيد مضمون الخطاب، ولأنَّ الكافرين دأبوا على إنكار يوم القيامة وما فيه من العذاب، فجاء التَّأكيدُ للرَّدِّ على إنكارهم.

نُكْتَةُ الإضافةِ:

العـذابُ في الآخـرة يُقابل العذاب في الدُّنيا

أضاف النَّظمُ الجليل لفظَ العذابِ إلى الآخرة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه العذاب الذي انتقلوا إليه بعد موتهم، والذي يصيرون إليه في البعث[1]، والإضافة بمعنى (في)، أي: عذاب في الآخرة، ليُقابلَ عذابَ الدُّنيا، كما أنَّ الإضافة تدلُّ على اختصاص ذلك العذابِ الشَّديد بذلك اليوم العظيم، وهو العذاب الأخير الدّائم الأبديُّ.

لطيفةُ اسمِ التَّفضيلِ:

استعمل النَّظمُ اسمَ التَّفضيل في قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾؛ وذلك للدَّلالة على زيادته في الشِّدَّة والدَّوام[2]، فهو أشدُّ كمًّا وكيفًا ووقتًا.

براعةُ الاحتباكِ:

خـزي الـدُّنيـا كـبير، وهـو في الآخرة أكبر

عبَّر النَّظمُ الجليل بطريقة الاحتباك؛ للإيجاز في التَّعبير في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾، فذكر الخزي في الحياة أوَّلًا؛ للدَّليل على إرادة ذكره في شأن الآخرة ثانيًا، وذكر صفة الأكبر ثانيًا دليلًا على صفة الكبير أوَّلًا[3]، والتَّقدير: أذاقهمُ الخزيَ الكبيرَ في الحياة الدُّنيا، ويذيقهم الخزيَ الأكبر في الآخرة.

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 494.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 41.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 494.

سرُّ الجمعِ بين الخِزي والعذابِ:

العذابُ المعنويُّ بين يدي العذاب الحسّيِّ

جمع النَّظمُ الجليل بين الخزي والعذاب جزاءً للكافرين في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ﴾؛ للتَّغليظ عليهم؛ لشدَّتهم على الرُّسل ﷺ، ولإنكارهم دلائل التَّوحيد المتواترة[1]، وجَعَل الخزيَ في الدُّنيا والعذابَ في الآخرة؛ ليكونَ العذابُ الغالب عليه الجانب المعنوي بين يدي العذاب الحسّيِّ.

براعةُ استعمال أداة ﴿لَوْ﴾:

التَّلويح ببهيميَّة الكفّار وحيوانيَّة الظّالمين

عبَّر النَّظمُ الجليل بأداةِ ﴿لَوْ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؛ للدَّلالة على انتفاء العِلْم عنهم؛ إذ إنَّ مَنْ عَلِم أنَّ فعلَهُ يورثه العذابَ؛ يكفُّ عنه، ولكنَّهم لمّا لم يتَّعظوا بذلك، ولم يكفّوا أنفسَهم عن الكفر؛ نفى عنهم العِلم، أي: لو كان لهم عِلمٌ ما؛ لاتَّعظوا، وآمنوا، ولكنَّهم كالأنعام، لا عِلمَ لهم أصلًا[2].

بلاغةُ ذِكرِ (كان):

استطالةُ نفي العِلم عن الكافرين في الزَّمانِ كلِّه

ذكر النَّظمُ الجليل الفعل الماضي (كان)، في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؛ للدَّلالة على تجدُّد انتفاء علمهم واستمراره، فهُم جاهلون على مرِّ الزَّمان، لا يقع منهم اتِّعاظٌ ولا تذكُّر، ولإشعارِ المخاطَبين بالانتفاء الكلّيِّ للعِلم، فإنَّ دَيْدَن العقلاء أن يعلموا على الدَّوام، لكنَّ أولئك لم يكونوا يعلمون في أي وقتٍ من أوقات كينونتهم، فإنَّ النَّفي قد استطال وقتُهم كلَّه.

دلالةُ حذفِ المفعولِ:

المُعذَّبون كانوا جهلةً لا يعلمون شيئًا

حذَفَ النَّظمُ الجليل مفعولَ الفعل ﴿يَعْلَمُونَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؛ للدَّلالة على شمول انتفاءِ علمهم، فهُم لا يعلمون شيئًا ما، "أي: لو كانَ من شأنِهم أنْ يعلموا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 494.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 494.

شيئًا؛ لعلموا ذلكَ، واعتبروا به"[1]، أو لتنزيل الفعل المتعدّي منزلةَ الفعل اللّازم، أي: لو كانوا من أهل العِلم والفهم.

نُكْتَةُ حذفِ جوابِ ﴿لَوْ﴾:

انتفاءُ العِلم بعِلَّة العذاب جرَّأهم على الكفر بالنُّبوَّة

حذَفَ النَّظمُ الجليل جوابَ ﴿لَوْ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾، وتقديره: لآمنوا[2]؛ لأنَّ نقيض الإيمانِ هو التَّكذيبُ المذكور في صدر الآية، والتَّكذيبُ هو السَّبب في عذاب الكافرين، والمعنى: "لو كانوا يعلمون أنَّ ما حلَّ بهم سببُه تكذيبُهمُ رسلَهم، كما كذَّب هؤلاء محمَّدًا ﷺ"[3]؛ لآمنوا، فلمّا انتفى العِلمُ عنهم؛ نُفي الإيمان، وعليه يكون المرادُ بالعِلم الإيمان.

براعةُ اختلاف المفردة في الفاصلتين:

التَّعريضُ بالمشركين في كونِهم لا يعلمون ما سيكون في الآخرة

اختار النَّظمُ الكريم لفظَ الشُّعور في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ للدَّلالة على شدَّة خفاء العذاب عند مجيئه، أي: "لا يَشْعُرونَ مِنَ الجهة الَّتي لا يخطر ببالهم أنَّ الشَّرَّ يأتيهم منها"[4]، كما اختار لفظَ العِلْم في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم لم يدركوا حقيقةَ ما هم فيه، فضاعَ عنهمُ الاعتبارُ بما أمامهم، أي: "لو كانوا مِن أهل العِلْم والنَّظر؛ لعلموا ذلك، واعتبروا به"[5]، فنفى الشُّعورَ عنهم عند وقوع العذاب، ونفى العلمَ عنهم؛ لما سيكون من عظيم العذاب في الآخرة، ففيه تعريضٌ بالمشركين.

---

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 252.
(2) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 178.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 396.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 41.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 41.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»